7me Année No. 295

Lundi - 27 - 2 - 1939

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسؤل
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٢٩٥ «القاهرة فى يوم الاثنين ٨ محرم سنة ١٣٥٨ — الموافق ٢٧ فبراير سنة ١٩٣٩» السنة السابعة

الفهـــــرس

صفحة		
٣٨٣	غنى فقير ... !	أحمد حسن الزيات ... ...
٣٨٥	الشهرة والجماهير	الأستاذ ابرهيم عبدالقادر المازنى
٣٨٧	إسمعوا صيحة الحق ...	الدكتور زكى مبارك ... ...
٣٨٩	من برجنا العاجى ...	الأستاذ توفيق الحكيم ...
٣٩٠	بين القديم والجديد ...	لأحد أساطين الأدب الحديث
٣٩٢	الحقائق الأخلاقية أيضاً	الأستاذ محمد يوسف موسى ...
٣٩٥	فى الحرب	الأستاذ عبد المنعم خلاف ...
٣٩٦	إسخيلوس	الأستاذ دريني خشبة ... ...
٣٩٩	من برج بابل	الأديبة مارى نسيم ... ...
٤٠٠	محمد شريف باشا	الأستاذ محمود الخفيف ... ...
٤٠٣	قلت لنفسى	الأستاذ ابن عبد الملك ...
٤٠٤	الأندية الأدبية فى مصر	(لمندوب « الرسالة » الأدبى)
٤٠٦	حوريتى تسأل ! (قصيدة)	الأستاذ محمود حسن إسماعيل
٤٠٧	النور ... «	الأستاذ أمجد الطرابلسى ...
٤٠٧	المصور ... «	الأستاذ محمود غنيم ... ...
٤٠٨	فن التجميل	الآنسة زينب الحكيم ... ...
٤١٢	الحياة	الدكتور محمد محمود غالى ...
٤١٦	ما هى الحياة ؟	الأستاذ نصيف النقادى ...
٤١٩	التصوير الأفريقى ... في مرحلته الأولى	الدكتور أحمد موسى ... ...
٤٢٢	محمد القصبجى ... ... من الوجهة الفنية	الأديب محمد السيد الويلحى ...
٤٢٣	الدكتوراه الفخرية لجلالة الملك — فى ذمة الله صديقنا الهراوي	
٤٢٤	حول كتاب محيى الاسلام — حول كلمتى ذكورة وأنوثة — تخليد ذكرى مختار وإقامة متحف مؤقت لمخلفاته — أعلام الدراما فى مصر	
٤٢٥	مستشرق ألمانى — جماعة الأخوة الاسلامية — حياة الرافعى — اللجنة العليا لفرش فلسطين	
٤٢٦	كتاب البخلاء (نقد)	الأستاذ محمود مصطفى ... ...
٣٨١	الفرقة القومية	ابن عساكر ... ...

إله فى ذلك لعبرة

غنى فقـــير ...!

قد يكون مع بعض الفقر عزاء ورجاء وسكينة ؛ ولكن فقر هذا الغنى البائس الذى سأقص عليك نبأه ألمٌ لا يهاون ، وهمٌ لا يهادن ، وحتى لا تقلع

سأسوق إليك خبر هذا المسكين بقلمى لا بقلمه ، فإن الرسالة التى كتبها إلىّ كلمات لحسرات النادم لا تتصل ، ومقاطع كأنات المحتضر لا تبين . على أننى سأحاول ترجمتها لك ترجمة الشعور للشعور ، لا ترجمة اللفظ للفظ ، لترى كيف يشقى المرء بخطأ نفسه، أكثر مما يشقى بخطأ غيره

قال بعد أن سلم وعظم وشكر :

« قرأت وأنا فى وحدتى السامة وعلتى القاتلة ما كتبتَ من مآسى الحياة فى الرسالة ، فراعنى أن يبلغ البؤس ببعض النفوس إلى هذا الحد ، وفى أرض الله رزق لا ينضب ، وفى يد الناس مال لا ينفد !

ولا أكذبُ الله لم أفطن إلى معنى الحرمان والإحسان إلا بعد أن نيفت على الستين وأقعدنى الكُساح ، وسلبنى حريتى وثروتى وغبطتى من جعلت حياتى له ، ووضعت أملى فيه

أنا أملك ربع مليون من حر المال وخالص الذهب . وكان يخيل إلىّ قبل أن ينكشف الغطاء عن العين أنى أسبح فى بحر أحمر لا أدرى أكانت حمرته من الذهب أو من الدم أو من الدموع ،

فإني كنت مصمت القلب لا يختلج فيه شعور ولا ترف عليه عاطفة. فلما بلغت الشاطئ الأستجم وجدتني على ساحل الحياة ، هنا الموت الراصد ، وهنا المرض المُثبت[1] ، وهنا الضمير المعذب ، وهنا الوارث الحاقد الذي دفني وأنا أشعر ، وورثني وأنا أنظر ، وحرمني وأنا أريد . فإذا كان في بؤس الفقراء ما يستدرّ ماء العيون ، فإن في ذل الأغنياء ما يذيب شغاف الأفئدة !

أتدري كيف جمعت هذا المال يا سيدي ؟ جمعته بالسعي الدائب ، والتدبير المعجز ، والربا الفاحش ، والشح الدنيء ، والتقتير المهلك ؛ ثم أمات الله في نفسي نوازع الأبوة والقرابة والإنسانية فلم تبضّ يدي في سبيل شيء من ذلك ، فلما المال واتسع وامتد حتى صرفني عن الناس وشغلني عن العالم . ثم حسبتني بهذا الثراء الضخم أستطيع أن أشتري السعادة والسيادة والإيمان والجنة ، فإذا بي وا حسرتاه أملك مفاتيح قارون ولا أملك عصا موسى !

كان رأس مالي جنيهات معدودات ادخرتها من نفقاتي وأنا طالب بالأزهر ، فلما عدت إلى بلدي استثمرتها في الربا والتجارة ، فكنت أقرض الزرّاع المأزومين والعمال الموزين والتواجر الأرامل ربا خمسة قروش في الشهر للجنيه الواحد . ثم اتخذتُ من فناء بيتي قُنًّا للدواجن ، ومن سطحه مزرعة للبقول ؛ فكنت أبيع الدجاج والأرانب من تحته ، والفجل والكراث من فوقه ؛ وألححت على نفسي بكبت الشهوة وقتل الرغبة إذا اعتدّتا على المال ، حتى كنت أرى الفاكهة عند الفاكهاني فأتقزز ، وأبصر اللحم عند القصاب فأعْزُف[2] ، ولكني إذا لمحتهما في يد إنسان تبعتهما نفسي وتحلّب عليهما فمي . ثم اقتنيتُ العقار والضياع ؛ أكثرها بغَلق[3] الرهان وأقلها بالشراء ؛ وقمت عليها أحسنَ القيام بالرعاية والجباية والتوفير حتى غدت غلتها سيلاً لا ينقطع عن الأهراء[4] والخزائن . ثم فرضت نفقة أسرتي من الطعام والإدام على مستأجري المزارع والدكاكين يؤدونها فوق الأجرة يوماً بيوم ؛ واقتصرت في غذائي على الأبيضين : الماء والثريد ، وفي كسوتي على جلاليب من القطن للبيت والغيط ، وبذلة من الصوف للاحتفال والسفر . ثم وقع في نفسي أن حماية هذه الثروة العريضة لا بد لها من لقب (بك) فاشتريته أيام كانوا يبيعون الألقاب ، بقبضة من الذهب ؛ ثم شيّدت قصراً وبنيت دوّاراً وجعلت في رأسه دائرة ، فاتسع النفوذ وامتد السلطان ، وصرت آمر ولا أرجو ، وأغتصب ولا أختلس . ورأيت الناس يلقونني بالإجلال والهيبة لفخامة اللقب وضخامة الثروة ، فازدادت نفسي شراهة ويدي كزازة ؛ وأفرط عليّ الغنى فغطى على بصيرتي وبصري ، فلم أعرف أن لي ديناً له حرمة ، وزوجة لها حق ، وأولاداً لهم رعاية ؛ وعشت لنفسي بل لمالي ، أقضي النهار له ، وأسهر الليل عليه ، حتى كرهتني أسرتي ، وحقرتني عشيرتي ، وسئمتني حياتي ، وأصبت بمرض عُقام يرى عظام ساقي ولحمي فلم أستطع المشي ولا النهوض ؛ واستولى ولدي البكر على مفاتيح الكنوز وأضفى على نفسه وزوجه وأمه وأخواته الذهب والحرير والنعيم والأبهة ، وتركوني سطيحة في حجرة منعزلة لا يدخلها عليّ إلا الخادم بالماء والثريد والقهوة . ولا أدري لماذا استعرتْ في نفسي اليوم شهوة الأكل ورغبة المتاع ؛ فأنا أشتهي كل شيء ، وأبتغي كل معنى ؛ ثم أنظر في يدي الجمّاعة الكسوب فإذا هي معروقة كيد المسلول ، فارغة كراحة السائل ؛ وأدور بعيني في الحجرة الموحشة فأرى أطياف الذين جمعتهم في أموالهم وآمالهم تخفق على الجدران ساهمة حزينة ، فأتذكر كم مدين أغرقت ، وكم بيت أغلقت ، وكم قلب سحقت ، فتنهل مدامعي انهلالَ القَطْر على خدي الغائر الشاحب ؛ وأتمنى لو تعود قدرتي على ثروتي فأمحص خطاياي بإنفاقها كلها في سبيل الله ؛ ولكن هيهات هيهات لما أرجو ! لم يبق لي منها إلا حريق القلب في الدنيا ، وحريق الجسم في الآخرة ! حتى الدواء لا أناله ، وحتى الكفن لا أرجوه ! وكأنما أمات الله نصفيَ الساعي وأبقى على نصفيَ الشاعر لأدرك بعيني وفكري وخيالي مضَّ الألم الذي يحسه المظلوم يُنتصب ولا يستطيع أن يدفع ، والمحروم يتشهى ولا يستطيع أن يجد ، والمهموم يتلظى ولا يملك أن يموت.»

ثم يلي ذلك شكوى سارعة من زوجه الفارك وابنه القاسي وصهره المتعجرف لا تتسع لها الصفحة !

* * *

سيدي البك ! إن حالك لا تغني فيها دمعة تذرف ولا كلمة تقال. أدع الله معي أن يتغمد خطاياك بالعفو ، ويقطع بلاياك بالموت. وإن كنت في حياتك للضعيف شقاء وللأهل حسرة ، فإنك في موتك للفقير عزاء وللغني عبرة !

احمد حسن الزيات

(١) المرض المثبت هو الذي يمنع من الحركة
(٢) أعوف : أي
(٣) غلق الرهن إذا لم يقدر الراهن على افتكاكه في الوقت المشروط
(٤) الأهراء جمع هرى وهو مخزن القمح